صاحب الجلالة يترأس اختتام أشغال المؤتمر التأسيسي للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة

حضرات السادة

لا يمكنكم أن تتصوروا مدى غبطتنا واعتزازنا بأن يكون اجتماع هذه المنظمة لأول مرة منعقدا بالمغرب، وأن تكونوا كلكم أعضاء الأسرة الاسلامية الطاهرة قد اخترتم المغرب مقرا لهذه المنظمة وكأنكم وأنتم تختارون هذا الاختيار وتنعمون علينا بهذه النعمة، تجددون ما في العهد من قديم وأصيل، وتربطون الحاضر بالماضي، وتعطون الحجة تلو الحجة، والبرهان بعد البرهان على أن الشعوب الاسلامية وأفراد الأسرة الاسلامية كالبنيان يشد بعضه بعضا، من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه.

وإنني أحمد الله، وأنا خادم الأسرة الاسلامية كلها ولشعبي العزيز المغربي، يسرني ويشرفني أن أقول : ان اختياركم كان حقا في محله، لأن المغرب — ولله الحمد — أظهر عبر السنين والقرون وما زال يظهر أنه قلعة منيعة من قلاع الاسلام، وأنه مستعد كما في الماضي أن يضحي بأبنائه، ويقدمهم قربانا حتى تبقى كلمة الله هي العليا، وكلمة خصوم الاسلام هي السفلى.

سألت رئيس تجمعكم هذا، وسألت الرئيس الذي وقع عليه اختياركم السيد عبد الهادي بوطالب الذي أعرفه حق المعرفة، وسألت أمين منظمتنا السيد الحبيب الشطي، سألت ثلاثتهم : ما هي المواضيع التي تطرق إليها تجمعكم هذا؟ فكان الجواب : ان الجلسات كلها كانت مخصصة لوضع الأسس الادارية والتنظيمية لهذا التجمع، فلا أخفي عليكم أنني كنت متحيرا جدا لايجاد موضوع أو مواضيع يمكن التطرق إليها ومن شأنها أن تستأثر باهتمامي.

إنكم تعلمون حق العلم من أخيكم في الاسلام، الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن، تعلمون أنه مسلم مطمئن بالاسلام، مؤمن قوي الايمان، وبهذه الصفة لا يمكنه إلا أن يكون مقداما مستمر الاقدام، ومخلصا وصريحا دائما وأبدا مدى العصور والأزمان، فقلت : لماذا لا نخرج بتجمعنا هذا من المواضيع المبتذلة؟ لماذا لا نقدم على اقتحام أبواب نرى أنها أبواب واهية، ولكن نجدها أبوابا مسدودة واقفة في وجه الاسلام والمسلمين حتى لا يكونوا ذلك الجسر، بل ذلك النطاق المستمر الذي يضم القارات كلها والذي يضم كوكب الأرض، ورأيت أن الاسلام اليوم يجتاز مرحلة من أخطر مراحله، إلا أن الاسلام هو الدين الحقيقي، الاسلام فيه يتساوى جميع الناس، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى. الاسلام ديانة مستمرة خالدة



عالمية، والاسلام يظهر اليوم بمظهر شنيع جدا، مظهر السنيين والشيعيين، وهذا موضوع خطير جدا، لأنه لا يكون خطرا على العقيدة فحسب، ولا يكون خطرا على المستقبل فحسب، ولكن يكون خطرا سياسيا واهيا، ولكنه موجود على المجتمع الاسلامي والأسرة الاسلامية.

وقد راجعت بعض الصحف وما تقول بعض المنتديات عن مجهودات بعض الأئمة والشيوخ والعلماء من الدول الاسلامية سنيين وشيعيين، أرادوا خدمة للاسلام ووفاء لشهادتهم بوحدانية الله والرسالة الختامية لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاولوا كلهم أن يرجعوا — انطلاقا منه — الاسلام الى أيامه السالفة، تلك الأيام التي لم يكن فيها شيعي ولا سني، ولكن كان فيها أبناء الله الروحيون، وأقول أبناء الله الروحيون الصوفيون الذين لا سلاح لهم ولا حول ولا قوة إلا « لا إلاه إلا الله، محمد رسول الله »، وهنا أقول لكم يا إخواني في الدين، إخواني في الله، هل سيجد شخص الحسن بن محمد المتواضع فيكم جميعا وفي أنظمتكم السياسية وفي حكوماتكم، وفي شعوبكم من يحمل بيده معي هذا التحدي التاريخي، ومن يقرر أن يكون من جملة ما تتدارسه منظمتكم وما تعمل من أجله، العمل على إرجاع الوحدة إلى سالف عهدها وإلى التآخي والصفاء.

إنكم شاهدتم — كما شاهدت — وكما شاهد المسلمون جميعا في أنحاء الأرض في مشارقها ومغاربها، تلك المناظر القدسية عند مواسم الحج وبالأخص في السنين الأخيرة، فمن منكم هو قادر على أن يقول إن هذاالمحرم سني وهذا المحرم شيعي ؟ ومن منكم في إمكانه الفرز والمسلمون واقفون بعرفات، والمسلمون يطوفون بالكعبة المكرمة، والمسلمون يتبركون بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن منكم قادر أن يقول أن هذا المسلم والمحرم الذي عيناه تبكي وقلبه يخشع، هو شيعي أو هو سني، لا أحد. لماذا؟ لأننا حينما نسمع لبيك اللهم لبيك، لبيك اللهم لبيك، وحينما نسمع الشهادة بوحدانية الله وبرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نسمع إلا قلوبا بالايمان تنبض، وألسنة بالشهادة تنطق، فلهذا إخواني في الله وفي الاسلام كونوا في مستوى التحدي.

نعم، سنلاقي عراقيل وسنجد في طريقنا حواجز، ووجود تلك الحواجز هو الدليل القوي الذي ليس من بعده دليل، على أن ما وُجد في الأسرة الاسلامية من تفكك وألقاب، هذا سني وهذا شيعي، لم يكن إلا طريقة ووسيلة لهدم الاسلام والنيل من رسالته العالمية والدائمة، إن أهل السنة بمذاهبهم وأهل الشيعة بأصنافهم، كلهم يلتقون في وحدانية الله، وكلهم يلتقون عند رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وحينما أركز على هذه الفكرة أركز وأنا أعلم ما أقول، لا رهبانية في الاسلام، لا سنية ولا شيعية، الاسلام دنيا ودين، فلا يمكن لأي أحد منا أن يتنصل من مسؤوليته الدنيوية، ويقول : أنا إمام، أنا شيخ عالم، أنا قاضي، أنا مفتي « الدين المعاملات » كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم، والمعاملات هنا وهي المعاملات الدولية تلك المعاملات التي بحسنها يحسن مستقبلنا، والتي بسوئها يسوء مآلنا.

فلهذا إخواني في الله وفي الدين، أرجو منكم مرة أخرى أن تكونوا في مستوى التحدي، وما هذا التحدي؟ هذا التحدي قبل كل شيء هو غلبة النفس والأنانية، علينا أن نتناسى كل شيء، وأن ننطلق من أي شيء ينتمي الى الاسلام الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا، علينا أن نقرر أن هذه المنظمة لا يمكنها أن تربي ولا أن تثقف ولا أن تعلم ما دامت لم تُزل الخلل الذي ينخر عظامها وعمودها الفقري، إن منظمتكم مبنية على ثلاثة أركان : التربية، والثقافة، والعلم. وحاولت أن أجد بسرعة لأني فوجئت بأنكم لم تتطرقوا الى موضوعات عميقة، ولكن تطرقتم الى موضوعات هيكلية ضرورية، فحاولت في مذكرتي أن أجد من الأدباء والفقهاء أو العلماء المسلمين



من يمكن أن يجمع بين التربية والثقافة والعلم، ووجدت ثلاثة أبيات لشاعر، الله وحده أعلم بمصيره يوم الدين، وجدتها في المعري حينما قال هذه الأبيات الثلاثة التي تجيب الى التربية والى الثقافة والى العلم، يقول المعري :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وليس معنى الأجساد هنا إلا ما تتركه وهي حية من تراث ثقافي وتربوي وعلمي وديني، وأخيرا يصيح صيحته التي يجب أن تكون صيحتنا جميعا، لأن الأصالة هي المرسى لنا جميعا حينما تلتطم الأمواج ونصبح تائهين بين السبل!

وقبيح بنا وإن طال العهد هوان الآباء والأجداد

آباؤنا كانوا كلهم مسلمين ومعتزين بإسلامهم الى حد أنهم كانوا يقولون حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوله هنا ولو كان الوفد الايراني غائبا. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو كان العلم معلقا بالثريا لأدركه رجال من فارس »، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الحكمة يمانية »، وها هو من جنوب المملكة السعودية الى شمال العالم الاسلامي نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يوحد بين الشعوب وبين الأجناس، إنه لا يوحد بينهم في العقيدة فحسب، بل يوحد بينهم في نصيبهم ومسؤوليتهم بالنسبة للعلم وللحكمة، ذلك العلم وتلك الحكمة اللذان سيصبحان رصيدا إسلاميا لا رصيدا إيرانيا ولا يمانيا ولا مغربيا ولا تونسيا ولا عراقيا ولا عجميا ولا عربيا، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فمنتداكم ومتجمعكم هو تجمع للعلم، وأول ما نزل من القرآن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق »، فهذه قاعدة تنطبق علينا جميعا أحببنا أو كرهنا.

أما بصفتي خديم هذه الدولة يترأس جلستكم الختامية، وبصفتي مسلما أخا لكم جميعا كيفما كانت أجناسكم وألوانكم، فقد قلت كلمة الحق وصدعت بها وخففت على ضميري ونفسي من المسؤولية، لأن من علم علما وكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار، فرجائي من الله سبحانه وتعالى أن يهبنا جميعا الاقدام الذي يجعلنا نقبل هذا التحدي ونتغلب عليه ونتخطاه، فلنجتمع إذن جميعا سنيين وشيعيين، ولنجد الطريقة الوسط « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » يقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا إفراط ولا تفريط، لا ضرر ولا ضرار، وسأختم بالآية القرآنية : « الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء »، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم.

الأربعاء 10 رجب 1402 — 5 ماي 1982